جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلمية

تشخيص الخمر في شعر أبي نواس

دراسة أسلوبيّة

إعداد
سفاح علي محمد الصبح
محاضر متفرغ ، قسم العلوم الأساسية – كلية عجلون الجامعية – جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن

(العدد الرابع عشر)
(الإصدار الثاني - ديسمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- نصف سنوية

تشخيص الخمر في شعر أبي نواس
دراسة أسلوبيّة

سفاح علي محمد الصبح
قسم العلوم الأساسية ، كلية عجلون الجامعية ، جامعة البلقاء التطبيقية ، الأردن .
البريد الإلكتروني: safah.soph@yahoo.com

الملّخص :

تهدف هذه الدراسة أسلوب التشخيص البلاغيّ لموضوع الخمرة في شعر أبي نواس؛ حيث استخدم الشاعر أسلوب تشخيص الخمرة في صورة جليّة في شعره كشفت بوضوح عن جوانب مهمة من تجربته الشعرية في إطاري تشكيلها الفنيّ، ورؤيته للحياة والكون ،وقد منح أسلوب التشخيص النصّ الشعريّ لدى الشاعر أبي نواس أبعاداً فنّية خاصّة على مستويي الدلالة والبناء؛ حيث أسهم تشخيص الخمرة بوضوح في صياغة تجربة الشاعر الفكريّة وموقفه تجاه الكون والإنسان، كشفتها الدراسة عبر تبنّيها المنهج التحليليّ الفنّي للنصوص، وقد خلصت الدراسة إلى أنّ الشاعر استطاع تشخيص الخمرة وأنسنتها، وتقديمها في صور أنثويّة متعدّدة متباينة كشفتها الدراسة، ما عكست من خلالها موقف الشاعر من الحياة وطبيعة عصره وخصوصية تجربته. فكانت صور الخمرة في شعره: الخمرة أمّ، والخمرة عجوز، والخمرة قتيلة، والخمرة مخطوبة، والخمرة عروس، والخمرة مُسعدة، التشخيص فيعدّ من أهم الأساليب البلاغية حضورا في النص الأدبي؛ حيث تمنحه تميزا فنيا، وصبغة جمالية. كما يُمكّن استخدامه من تفاعل القارئ بعمق مع القصيدة: رؤية وجمال، حيث يتشكّل أسلوب التشخيص من خلال خلع الصفات الإنسانية على كل من المحسوسات والماديات، أي بخلع صفات الأشياء عليها ، فالتشخيص – بذلك – بثّ الحياة في غير الأحياء، أي إنّه" ضرب من التعبير يُعدّ من أقوى أركان الصورة الشعرية وأعمدتها فيه، الذي يُحمل " على قوة الوجدان الإنساني إلى درجة يمتدّ فيشمل ما يُحيط به الكائنات. والتشخيص صفة تتسرب في كياننا عميقة موغلة لأسباب قد يكون بينها بقايا الاعتقادات القديمة في أنفسنا، في شكل غامض وحاجة الإنسان إلى وثاق يربطه بالطبيعة ويمنح أسلوب التشخيص اللغة الشعرية ألقا خاصّا، لما للظاهرة البلاغية من أثير جماليّ إيحائي جعلها بحقّ من أهم انزياحات اللغة وأخطرها في تشكيل النص الأدبي؛ حيث يحقّق أسلوب التشخيص انزياحا لغويا كبيرا عبر أنسنته للأشياء، ببإسناد الفعل إليه ، لينتج بذلك صياغة خاصة معيّنة لأسلوب الشعر.

الكلمات المفتاحية : التشخيص –الخمر– شعر– أبو نواس– أسلوبية.

Diagnosis of wine in Abu Nawas' poetry
Stylistic study

Saffah Ali Muhammad Al-Sobh.
Department of Basic Sciences - Ajloun University College - Al-Balqa Applied University - Jordan.
Email : safah.soph@yahoo.com.

Abstract:
This study aims at the rhetorical diagnosis of the subject of booze in Abu Nawas' hair; The poet used the method of diagnosing the booze in a clear form in his poetry, which clearly revealed important aspects of his poetry experience in the framework of its artistic formation, his vision of life and the universe. The vintage diagnosis clearly contributed to the formulation of the poetry's intellectual experience and attitude towards the universe and man, revealed by the study through its adoption of the artistic analytical curriculum of texts. The study concluded that the poet was able to diagnose the vintage and its humanity and present it in various different feminine images. The images of wine in his hair: wine is mother, wine is old, wine is dead, wine is engaged, wine is bride, wine is happy, diagnosis is one of the most important rhetorical methods present in the literary text; It gives it artistic distinction, aesthetic dye. It also enables the reader to interact in depth with the poem: vision and beauty, where the diagnostic method is shaped by taking off human qualities on both sensations and materials, that is, by taking off the qualities of things on them, the diagnosis - thereby - breathing life out of life, that is, it "A beating of the expression is one of the most powerful elements of the poetic image and its columns, which is carried." The strength of the human conscience extends to include the surroundings of the beings. The diagnosis is profound in our entity, preoccupied with reasons that may include the remnants of old beliefs in ourselves, in a vague form and man's need for a document that connects him to nature and gives a method of diagnosis poetic language a special tolerance, as the rhetorical phenomenon has provoked a suggestive aesthetic that has rightly made it one of the most important and dangerous language changes in the composition of the literary text; The diagnostic method makes a significant linguistic increase through its fornication of things, by attributing the act to it, thus producing a particular formulation of the hair style.

Keywords: Diagnosis, wine**,** poetry**,** Abu Nawas **,** study **,** Stylistic **.**

ـ المقدّمة :

يُعدّ الشاعر العباسيّ أبو نواس أحد الشعراء الذين نالوا اهتماما بالغا لدى الدارسين من القدماء والمحدثين على حدّ سواء، بما ترك من إرث شعريّ غنيّ لافت جعله بحقّ رمزا للتمرّد والتجديد[1]. وفي ذلك شغل النواسيّ الباحثين والمهتمّين بما عاشه من حياة ملؤها الصراع والنزاع بين الفسق والمجون مع الاستقامة والالتزام، وبين القلق والاكتئاب مع الطمأنينة والسلام، وبين الكره والعداء مع الألفة والحبّ.

وقد عاش أبو نواس غير مأساة رافقته في طفولته وشبابه صبغت حياته بألوان من الألم المتدّفق والمعاناة المستمرّة، شكّلت تجربته العميقة ومزاجه المضطرب؛ حيث كان أعظم تلك المآسي في حياته هي سيرة والدته، أو ما يمكن تسميته بعقدة أمّه؛ حيث تناقلت كتب الأدب أنّ والدته "جُلبُّان" كان بيتها مقصدا لطالبي الهوى والمجون ومأوى للباحثين عن اللّذة[2]، الأمر الذي طبع حياة أبي نواس بطابع خاص تجاه والدته، وتجاه المرأة بعمومها لاحقا؛ ما انعكس

١-أخبار أبي نواس، ابن هفان، عبدالله المهزمي (ت٢٥٧هـ/٨٧١م)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر-القاهرة، ١٩٥٣م. وينظر: أخبار أبي نواس، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، ملحق بكتاب الأغاني، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٢م. / الشعر والشعراء، ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم(ت٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م)، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م: ٢/٧٧٠ -٨٠٢./ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المرزباني، محمد بن عمران(ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٣م) ،ط٢، اعتنى بطبعه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية – القاهرة، ١٩٦٥م :٢٣٨- ٢٦١ / تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، ط١،م١٥، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٧م : ٥/ ١١١- ١٢١ . / تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ط٥، دار المعارف بمصر، ١٩٨٣م:٢/٢٤- ٢٦. / الأعلام، خير الدين الزركلي، ط١، دار العلم للملاين- بيروت، ١٩٩٢م: ٢/ ٢٢٥.

٢- أخبار أبي نواس، ابن منظور: ٢٨.

على نظرته للنساء وموقفه منهنّ. ومما زاد الأمر سوءاً وتعقيدا لدى أبي نواس أنّ نشأته كانت في أوّل أمرها نشأة دينية واضحة حيث حفظ – في سنّ مبكّرة – القرآن الكريم، جعلت يعقوب الحضرمي يرمي إليه بخاتمه ويقول له: "اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة "[١].

وقد سبّب سلوك والدة أبي نواس له بأزمات ثقال عميقة جهة الحياة بعامة، وجهة المرأة بخاصة دفعته بداية إلى أن يرتحل من البصرة موطنه ووالدته إلى الكوفة بسبب" أنّه كانت تؤذيه سيرة أمّه في البصرة "[٢]، كما دفعته –أيضا–إلى البحث عن عالم آخر لا يرى فيه ما رآه في واقعه، وهوما قد وجده في الخمرة وحدها بديلا؛ حيثما تنقله بعيدا عن واقعه المثقل بالهموم والغموم إلى عالم يجد فيه المسرّة والمتعة، والنسيان لمأساته وعقدته الضاغطة، والسلوان عن أزمته الثقيلة بديلا ناجعا وحلّا حاضرا.

ويختار الشاعر الخمرة ومعاقرتها والإدمان عليها، لا عوضا عمّا فقده في واقعه من سكون وسلام فحسب، بل سلاحا يحارب به أزمته ومأساته التي شكّلت قضيته ومشكلته؛ إذ ينكبّ على " معاقرة الخمرة وألفة مجلسها واختيار المجالس التي لا يسمع فيها المفاخر بالأنساب "[٣]،أو الغمز واللمز بعرضه [٤]، وبهذا تصبح الخمرة لديه نقطة يلجأ إليها للخلاص من" عالم المشكلة، فالخمرة تساعده على الخلاص على الابتعاد عن الواقع"[٥]، بل تصبح " وسيلته إلى إبداع عوالم شعرية وأداة لتفجير طاقاته الإبداعية وخلق اتجاهه الفنيّ المميّز والجديد، وزورقا

١– أخبار أبي نواس، ابن منظور: ١٣.

٢– العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف– القاهرة، ١٩٦٩م: ٢٢٢.

٣– أبو نواس ـ الحسن بن هانئ، عباس العقاد، مطبعة الرسالة – القاهرة (د.ت): ١٠٠.

٤– أخبار أبي نواس ، ابن منظور: ٢٧–٢٨ .

٥– أبو نواس بين التخطي والالتزام، د. علي شلق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر– بيروت، ١٩٦٤م: ٧٩.

للإفلات من قبضة الهموم"[١]. وبذلك يتحقّق له التطهير من جهة، ويتحقّق معه " خلق نمط حياتي وفكر خاصّ، ونمط تعبيريّ جديد "[٢] أخذ يرمز إلى هوية إنسانية جديدة، وولادة تجربة شعرية متفرّدة.

والمتأمّل في شعر أبي نواس يجد بأن علاقة متّقدة قد تولّدت بين أبي نواس والخمرة ملؤها المعايشة والألفة، وظاهرها تشخيص الخمرة وأنسنتها، وعلى ذلك يختار الشاعر أسلوب التشخيص البلاغي في مقاربته للخمرة وعالمها، ليعبّر من خلاله عن معاناته الوجدانية وقلقه الروحي. وبذلك يشكّل أسلوب التشخيص توجّها يهدف من ورائه إلى جذب الانتباه وتحقيق المفاجأة تسهم في بناء الرؤية الشعرية لديه؛ إذ إن النص في حقيقته رسالة فكرية جمالية مندغمة مندمجة لا يمكن في حال فصل أحد مكوّنيها دون الآخر.

وأمّا التشخيص فيعدّ من أهم الأساليب البلاغية حضورا في النص الأدبي؛ حيث تمنحه تميزا فنيا، وصبغة جمالية. كما يُمكّن استخدامه من تفاعل القارئ بعمق مع القصيدة: رؤية وجمالا.

ويتشكّل أسلوب التشخيص من خلال " خلع الصفات الإنسانية على كل من المحسوسات والماديات، أي بخلع صفات الأشياء عليها "[٣]. فالتشخيص – بذلك – بثّ الحياة في غير الأحياء، أي إنّه" ضرب من التعبير يُعدّ من أقوى

١- أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد، د. أحلام الزعيم، ط١، دار العودة–بيروت، ١٩٨١م: ١٥.

٢- منهج في دراسة أبي نواس، د. محمد زكي العشماوي، مجلة الدوحة – وزارة الإعلام – قطر، ع٦٢، فبراير، ١٩٨١ م :٣.

٣- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، د. صالح أبو إصبع، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، ١٩٧٧م: ٤٤ – وينظر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، د. عبد القادر الرباعي، ط١، منشورات جامعة اليرموك– الأردن، ١٩٨٠ م: ٦٩.

أركان الصورة الشعرية وأعمدتها فيه"[١]، الذي يُحمل " على قوة الوجدان الإنساني إلى درجة يمتدّ فيشمل ما يُحيط به الكائنات. والتشخيص صفة تتسرب في كياننا عميقة موغلة لأسباب قد يكون بينها بقايا الاعتقادات القديمة في أنفسنا، في شكل غامض وحاجة الإنسان إلى وثاق يربطه بالطبيعة "[٢].

والتشخيص – بذلك – توسّع لغويّ لم يستخدمه القدماء باصطلاحه هذا، لكنهم " وعوا التشخيص في الاستعارة المكنية، فالتشخيص توسع في مفهوم الاستعارة "[٣] التي تقوم – في أساسها – على" نقل الكلمة عن شيء قد وضعت له إلى شيء لم توضع له "[٤].

وبذلك يقدّم التشخيص (أو الاستعارة) " عالما نابضا بالحياة مشعا بطاقات الإيماء وفيض الدلالة ، لتجسيد رؤيا فنية خلاقة لها عالمها الخالص المميز "[٥]، كما إنّ الاستعارة تحقّق " رباطاً داخليا يعمل عن طريق الخيال على جمع عالمين متغايرين غالبا، ودمجهما معا وتصيرهما عالما ثالثا موحدا[٦]. وفي هذا نجد" بريسكوت " يقول:" يرى العقل الأشياء في حال تفردها وعدم ارتباط بعضها

١- قضايا في النقد والشعر، د. يوسف بكار، ط١، دار الأندلس –بيروت، ١٩٨٤م: ٣٤-٣٣٥.

٢- الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، ط١، دار الأندلس- بيروت، ١٩٨١م: ١٣٦.

٣- قضايا في النقد والشعر، د. يوسف بكار: ٣٨-٤١.

٤- قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، البغدادي، محمد بن حيدر(ت٥١٧هـ/١١٢٣م)، تحقيق د. محسن عجيل، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨١م: ٩٠.

٥- نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد، د. نواف قوقزه، ط١، وزارة الثقافة الأردنية- عمان، ٢٠٠٠م: ٨.

٦- البديع الشعري بين الصنعة والخيال، د. عبد القادر الرباعي مجلة أبحاث اليرموك- جامعة اليرموك-الأردن، م٣،ع٢، ١٩٨٦م: ٣٢ .

ببعض ثم يتعلم كيف يربط شيئا بآخر كي يظفر بشيء جديد"[١]. وبذلك يوصل عنصر الاستعارة إلى المتلقي " حدسا جزئيا عن العالم يتآزر مع غيره من الحدوس الأخرى داخل القصيدة، بشكل يفضي المتلقي إلى وعي جديد بذاته وبالعالم من حوله "[٢]. وعلى هذا " تشكل الاستعارة الخاصية الأساسية للغة الشعرية "[٣] بما تثير لدى المتلقي من " عوالم كافية، وبما تعقده بينهما من نسب مختلفة الأنواع، ولكنها في النهاية ترتد إلى قاعدة روحية تعمل على خلق التوازن والانسجام "[٤].

ويمنح أ سلوب التشخيص اللغة الشعرية ألقا خاصّا، لما للظاهرة البلاغية من أثير جماليّ إيحائي جعلها بحقّ من أهم انزياحات اللغة وأخطرها في تشكيل النص الأدبي؛ حيث يحقّق أسلوب التشخيص انزياحا لغويا كبيرا عبر أنسنته للأشياء، بإسناد الفعل إليه ، لينتج بذلك صياغة خاصة معيّنة لأسلوب الشعر؛ حيث يرى فاليري الأسلوب بأنّه " انحراف عن قاعدة ما "[٥]. و إنّ"الانزياح هو الشرط الضروري لكل شعر"[٦]، ذلك أن لغة الشعر كما يراها "موكاروفسكي"

١- في النقد الحديث، د. نصرت عبد الرحمن الحديث، ط١، مكتبة الأقصى –عمان، ١٩٧٩م:٧٠ .

٢- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار المعارف – القاهرة، ١٩٧٣م: ٢١٠ .

٣- تحديد الصورة وأهميتها في الخطاب الشعري، الولي محمد، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة سيدي محمد – فاس، ع٩، ١٩٨٧م : ١٦٩ .

٤- البديع الشعري، د. عبد القادر الرباعي: ٣٣ .

٥- علم الأسلوب- مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب–القاهرة، القاهرة، ١٩٨٥م: ١٥٤.

٦- بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة محمد المولي، ط١، دار توبقال- الدار البيضاء، البيضاء، ١٩٨٦م: ٢٠ .

انحرافا كلها[١]. وهكذا يشكل أسلوب التشخيص في النص انزياحا لغويا يجسّد طلاقة المبدع وقدرته في استخدام اللغة و" تفجير طاقاتها وتوسيع دلالاتها، وتوليد أساليب وتراكيب جديدة لم تكن دارجة أو شائعة في الاستعمال، فهو يعمد إلى الانتقال مما هو ممكن إلى ما هو غير ممكن من خلال استخدامه الخاص للغة "[٢]. وعلى ذلك يكون الانحراف " بالنسبة لصاحبه سمه للإبداع الشخصي وبالنسبة إلى متلقيه مدخلا إلى عالم جديد [٣]".

وأمّا موضوع التشخيص في شعر أبي نواس فقد شغل حيزا واسعا في شعره، فاستخدم الشاعر أسلوب التشخيص في مواضيع عدّة في شعره، لإبراز رؤيته للحياة والإنسان، وتقديمها عبر جمالية خاصة وتأثير فاعل.

وإذ تنحو الدراسة إلى تناول تشخيص الخمرة في شعر أبي نواس بما تشكّل الخمرة في شعره الباب الأوسع والموضوع الأكبر، وبالتالي حضورا أوفر لظاهرة تشخيص الخمرة في شعره دون موضوعات إنسانية أخرى كان التشخيص حاضرا فيها؛ فإن الدراسة لتسجّل مأخذا كبيرا على دراسة سابقة تصدّت لتناول ظاهرة التشخيص في شعر أبي نواس، ولكنها لم تتناول فيها دراسة تشخيص الخمرة إلا في بضعة أسطر فقط؛ حيث لم تفِ الموضوع أقلّ حقّه، وبالغ ما يستحقّه [٤].

١- اللغة المعيارية واللغة الشعرية، يان موركاروفسكي، تقديم وترجمة ألفت الروبي، مجلة فصول–القاهرة، م٥، ع١، ديسمبر، ١٩٨٤م: ٤.

٢- الانحراف مصطلحا نقديا، د. موسى الربابعة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات– جامعة مؤتة– الأردن، م١٠، ع٤، ١٩٩٥م: ١٥٤.

٣- اللغة والإبداع – مبادئ علم الأسلوب العربي، د. شكري عياد، ط١، دار انترناشونال برس– القاهرة، ١٩٨٩م: ٨٩.

٤- ظاهرة التشخيص في شعر أبي نواس، د. عبد الله أحمد الوتوات، مجلة كلية التربية – جامعة مصراتة – ليبيا، السنة الرابعة عشرة، عدد ٢٣، ٢٠٢٠ م :١٩.

وممّا يجدر ذكره بأنّ الشاعرالعباسيّ أبا نواس يعد لدى كثير من الدارسين " أستاذ فن الخمرة غير مدافع سواء من حيث الكمية أو من حيث النوعية "[١]. فالخمرة بالنسبة لأبي نواس تبلور وجوده الإنساني، وتشكّل تجربته الشعرية، وهي " تمثل بؤرة تتمحرق فيها أشياع عالمه "[٢]. وبهذا يمكننا القول: "إن شعر الخمر عند أبي نواس هو عالمه الحقيقي الذي تتجلّى فيه عبقريته الشعرية في أصالته، وهو يحدد الصفات المميّزة لشخصية الشاعر وفنّه وموقفه الفكري والحياتي" [٣]. وفي هذا يقول علي شلق " والذي يجب أن يدرس أبا نواس وأن يتعرّف إليه كفنان أصيل فعليه أن يتقمّص شعره الخمري، فهو أهم شيء في وجود الشاعر ولا بأس إذا أغضى عن باقي نتاجه الآخر "[٤].

ـ تشخيص الخمر في شعره :

والمتأمل في شعر الخمرة لدى أبي نواس يجد بأن هناك لغتان تنقلان عالم الخمرة وتصورانها، وهما أولا: لغة الواقع (أو الحضور) وتُعنى بنقل عالم الخمرة المباشر، من حيث: شكلها ولونها وطعمها، وأوانيها وطرائق تحضيرها وأماكن بيعها... إلخ. وثانيا: لغة الخيال(أوالغياب) وتُعنى بنقل عالم الخمرة غير المباشر، أو الغائب منها وأثرها في الذات، وفي هذا ينهض عنصرالتشخيص في تقدم الخمرة ورؤية أبي نواس لها.

١- العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٩م: ٢٣٤ .

٢- دلالة التضمين في خواتم قصائد أبي نواس، د. إبراهيم سنجلاوي، مجلة جامعة دمشق- سورية، ع١١، ١٩٨٨م:٧٢ .

٣- موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية- بيروت، ١٩٨١م: ٢١٢ .

٤- أبو نواس بين التخطي والالتزام، د.علي شلق: ١٢٣.

وتؤكّد الدراسة تلازم الخمرة بالمرأة والتباسها في شعر أبي نواس، وهي ظاهرة لافتة للنظر، فالخمرة المؤنّثة كما المرأة " تصبح في شعره امرأة، وتصبح محبوبة عنده، وتصبح كائنا روحيا... فبين المحبوبة والخمر التباس وتداخل، فكثيرا ما تصبح المحبوبة خمرا أو تصبح الخمرة محبوبة "(١).

يشخّص الشاعر أبو نواس الخمرة في شعره ، فتظهر في صور إنسانية خمس، هي: الخمرة أمّ، والخمرة عجوز، والخمرة قتيلة ، والخمرة خطيبة، والخمرة عروس، والخمرة مُسعدة.

١ – الخَمرَة أُم :

يكشف الشاعر أبو نواس عن العلاقة الحميمة التي تجمعه بالخمرة؛ حيث يشخّصها في صورة أمّ حانية، فيقول(٢):

قُطرُبُّلٌ مَربَعَي وَلِي بِقُرَى الـ ـالكَرخِ مِصيَفٌ وَأُمِّيَ العِنَبُ (٣)

تُرْضِنُعِيْ دَرَّهَا وَ تَلحَفُنِيْ بِظِلِّهِا وَالهَجِيرُ يَلتَهِبُ (٤)

فَقُمْتُ أَحْبُوْ إِلَى الرّضَاعِ كَمَا تَحَامَلَ الطّفلُ مَسَّهُ سَغَبُ(٥)

حَتَّى تَخَيَّرتُ بِنتَ دَسكَرَةٍ قَدْ عَجَمَتهَا السّنُونَ وَالحِقَبُ (٦)

١– الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي، د. إبراهيم سنجلاوي، ط١، مكتبة عمان–الأردن، ١٩٨٥م: ٢٣٠–٢٣١.

٢– الديوان: ٤–٥.

٣– قطربل: موضع بالعراق تنسب إليه الخمر.الكرخ : من ضواحي بغداد. مربعي: ينزل بها في الربيع. مصيفي : ينزل بها في الصيف.

٤– درها لنبها تلحفني: تغطيني.

٥– سغب : جوع.

٦– الدسكرة : الصومعة أو بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي . عجمتها: اختبرتها ، ، والمقصود انها قديمة مرت عليها السنون والحقب .

يكشف الشاعر في الأبيات السابقة عن العلاقة الحميمة والجانب الدافئ بينه وبين الخمرة، فيُظهر علاقة الأمومة التي تجمع الشاعر الابن بأمه، فتبدو الخمرة له أمّا ترضعه من درّها ولبنها، كما ترضع الأم طفلها، وكما تحنو عليه وتظلّه بظلها من الهجير حينما يلتهب. وبهذا يكشف أبو نواس بوضوح عن الخمرة حين يقدّمها أما ترضعه وتحنو عليه، لتبدو في هذا الموضع أمّا، ولا شيء غيره.

ويؤكد الشاعر بأنّ الخمرة هي أمّه حين يشخّصها ويصوّرها حانية عليه " ترضعني درّها، و تلحفني بظلّها "، وبذلك يتغلب على مشاعر الفقد والحرمان لديه، فتبدو الخمرة بهذا في قصيدته " تعويضا آخر عوّضته عن أمه التي حرم حنانها في وقت مبكر من طفولته حين تزوجت غير أبيه "[١]. وبهذا " لم يعد الطفل محتاجا إلى صدر أمه، فأمّه هي الخمرة"[٢].

ويتعمّق إحساس الشاعر بالخمرة الأم لطفلها الذي لم يبلغ حدّ الاستغناء عنها والإشباع منها، وذلك بالحبو جهتها ضعفا وفطرة:(أحبو، والرّضاع، والطفل، والسغب)، ليصل إلى أمّه خير أمّ نجّتها السنون أصالة وكرما(عجمتها السنون والحقب). وبهذا استطاع الشاعر باستخدامه للتشخيص من إحلال أمّه الخمرية الحاضرة مكان أمّه الطبيعية الغائبة، ولذلك أخذ ينكبّ على معاقرتها بما وجد فيها من أمومة مفقودة، " فاستعاض عن الصحو المرير بالسكر المتواصل "[٣] الذي مثّل " لديه زورقا للإفلات من قبضة الهموم "[٤].

١- نفسية أبي نواس، د. محمد النويهي، ط٢، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٧٠م: ٩٥.

٢- دراسة الأدب العربي، د. مصطفى ناصف، الدار القومية- القاهرة(د.ت): ١٥٥ - ١٥٧ .

٣- أبو نواس زعيم شعراء الخمرة، جورج غريب، ط١، دار الأندلس-بيروت، ١٩٦١م: ٢٥.

٤- أبو نواس، د. أحلام الزعيم : ١٥٥ .

ويستمرّ الشاعر في تأكيد فكرة الأمومة في الخمرة باستخدامه أسلوب التشخيص،الذي" يساعد على إبعاد المباشرة عن الشعر،لأن المباشرة تقتل الخيال الذي يثير في نفوس القراء مشاعر وذكريات جمة "[١]. ويتابع الشاعر في تأكيد فكرة الخمرة على أنّها أمّ له مطلقا، فيقول[٢]:

أَنَا ابْنُ الخَمْرِ مَا لِي عَنْ غِذَاهَا إِلَىْ وَقْتِ المَنِّيَةِ مِنْ فِطَامِ

أُجِلُ عَنْ اللّئِيْمِ الكَأْسَ حَتَّىْ كَأَنَّ الخَمْرَ تُعْصَرُ مِنْ عِضَامِيْ

ويشخّص الشاعر الخمرة فيصوّرها أما ترضعه إلى وقت مماته، وأنه ليس له عنها من فطام ولا استغناء أبدا، بل إنّه ليقرّ بحاجته واحتياجه لها مهما بلغ به من العمر مبلغا. وبذلك يكون ما في الكأس شرابا طيّبا طاهرا يجلّ شربه عن اللئيم ويحرم على من لا يقدّر حقيقتها وطبيعتها، فلا يقربه إلا الكرام الذين يقدّرونها حقّ قدرها ويثبتون لها قيمتها أمّا رؤوما ويحترمون طاقاتها وأسرارها. وبهذا يصبح هذا الشراب أو الخمرة –أيضا – معادلا موضوعيا للأم، ومعه تحوّلت العلاقة بينه وبين الشاعر إلى علاقة الأمومة الطيّبة الحميمة من غير ريبة أو شكّ.

وهكذا يُظهر الشاعر عبر تشخيصه الخمرة أمّا عن رفضه الانتماء لواقعه المتسم بالجور والتناقض، حينما يعمد إلى استبدال واقعه بواقع آخر بديل عنه عوضا عمّا فقد فيه ما فقده من دفئ الأمومة وحنانها، بما يشعره من جديد بالطمأنينة والسكينة. ومن هنا فإن مهمة الشاعر في رفضه لذلك الواقع " تكمن في إرادة التغيير وليس استجداء الراحة والسلام، وبهذا الفهم لا يكون

١– ظواهر من الانحراف الأسلوبي في شعر مجنون ليلى، د. موسى الربابعة، مجلة أبحاث اليرموك– جامعة اليرموك–الأردن، م٨، ع٢، ١٩٩٠م: ٦١.

٢– الديوان: ٣٧٤.

الرفض هربا ونفيا، بل هو مواجهة للواقع ودفاعا عن الحرية"[١]. ولذلك يهرع الشاعر إلى الشراب والخمر وينكبّ عليه " يفرغ فيهما ثوراته الباطنة، فالخمر عالمه الذي استكشف انه يرتاح في ظلاله المسكرة من عذابات هجير المجتمع وما لقيه منه"[٢].

٢- الخَمرَةُ عَجُوزٌ :

يشخّص الشاعر أبو نواس خمرته عجوزا تقادم بها العمر في غير موضع من الديوان[٣]، ويصوّرها عجوزا شمطاء واكبت الدهور وعاصرت العصور جميعها، فيقول[٤]:

وَقَامَ بِمِبْزَلٍ فَافتَضَّ بِكْرَاً عَجُوزَاً قَدْ تَجِلُّ عَنْ المَدِيْحِ [٥]

رَأَتْ نُوْحَاً وَقَدْ شَمِطَتْ وَشَابَتْ وَقَد شَهِدَتْ قُرُوْنَاً قَبْلَ نَوْحِ

يشخص الشاعر خمرته عجوزا أوغلت في القدم، فيراها وقد شطت وشابت، حتّى إنّها شهدت عهد نوح، إلّا أنّها ما تزال بكرا لم تفضّ بكارتها بعد. ويحقق الشاعر تشخيصه للخمرة

بخلع الصفات والأفعال الإنسانية علي الخمرة: " بكرا، وعجوزا، ورأت ، وشمطت ، وشابت، وشهدت". وبذلك يصوّر الخمرة إنسانة شمطاء " أفنت الدهور، فهو يلذّ بافتراع الشمطاء لولوعه بكل عجيب غريب "[٦]. وبذلك فهو

١- زمن الشعر، أدونيس،علي أحمد سعيد، ط٢، دار العودة - بيروت ،١٩٧٨م : ١٦١ .

٢- أبو نواس شاعر ظلمه قومه، د. رجاء عيد، مجلة العربي- الكويت، ع٢٦٩، ابريل، ١٩٨١م : ١٣٢ .

٣- ينظر - الديوان : ١٤ ، ٢٠ ،٣٩،٤١، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ٦٨٩.

٤- نفسه : ١٦٤ .

٥- المبزل المثقب افتض بكرا عجوزا يعني الخمرة ، ويقصد أنه ثقب دنها .

٦- أبو نواس، د . علي شلق : ٦٨.

بخلعه لصفة القدم والتطاول على الخمرة يحقّق لها العتق والسبق، ويجلب لها المهابة والوقار. بالإضافة إلى أن صفة البكورة ممّا يجلب للخمرة الشرف والكرم والنقاء والصفاء. وبهذا فهي خمرة ذات طهر ونقاء، وذات هيبة ووقار. ويقول[١]:

فَجَاءَ بِهَا قَد أَنْهَكَ الغَمْوُ جِسْمَهَا وَأَوْجَعَهَا فِيْ الصَّيْفِ حَرُّ الهَوَاجِرِ [٢]

فَقُلتُ لَهَا لَمَّا أَضَاءَ سَنَاؤُهَا عَلَىْ صَحْنِ كَأْسٍ قَدْ عَلَا الكَفَّ زَاهِرِ

أَبِيْنِيْ لَنَا يَا خَمرُ كُمْ لَكِ حُجَّةٌ فقَالَتْ : لَحَاكَ اللهُ لَسْتُ بِذَاكِرِ

شَهِدَتُ ثَمُودَا حِيْنَ حَلَّ بِهَا البِلَى وَأَدرَكَتْ أَيَّاماً لِعَمْرِوِ بْنِ عَامِرِ

وهنا يشخّص أبو نواس خمرته إنسانا أنهك جسمه مكثه الطويل في الدنان الدفينة تحت الأرض، وهي تعاني شدة وحر الهواجر وحرارتها. ويتكرّر هذا المعنى –أيضا– في ديوانه فيصف خمرته بأنّه " تأكل الليالي جثمانها "[٣]، و" أكل الدهر ما تجسّم منها "[٤]. وبذلك يصوّر بوضوح خمرته عجوزا قديمة. ويؤكّد هذه الحقيقة بما يجريه معها من حوارا يضفي جوّا عميقا من الحيوية يتجاوز بالخمرة من الفعل إلى الفكر، بما يحقّق ويؤكّد لها خصائصها الإنسانية وصفاتها الحيوية. ولأجل ذلك تردّ على سؤال عاشقها أبي نواس حينما يسألها عن عمرها فتجيب: "إنها شهدت ثمودا.. وأدركت أيام عمرو بن عامر"[٥]. وبذلك وبذلك ساند أسلوب الحوار أسلوب التشخيص، آزره في بث الحياة والحيوية في الخمرة حدّا أنسى معه القارئ جمود الخمرة وصمتها الطبيعي.

١– الديوان: ٢٠٨.

٢– الغمو: التغطية بالطين والخشب .

٣– الديوان : ٧٣.

٤– المرجع نفسه : ٣٠.

٥– عمرو بن عامر– الملقب بماء السماء – من قحطان ملك جاهلي يماني من التتابعة.

ويستمرّ أبو نواس في تشخيص خمرته وتصويرها عجوزا تقادم عهدها. ليدلّل بهذه الصفة على عتقها واختمارها، ونضجها واكتمالها، وهذه صفة لهي جدّ محببة عنده مطلوبة لديه. ولأجل ذلك يأخذ في وسم الخمرة باسم الشيخ، أو ابنة الشيخ تدليلا قويّا على حبّه وتوقيره لهذه السمة فيها. يقول:[١]

بَنَاْتُ كِسْرَى خَيْرُ مَاْ بَنَاْت [٢]

لِلَخِاطِبِ المُبْتَكِرِ المُوَاتِيْ [٣]

فَسَمِّهَاْ بِاَلشَـيْخِ لَا الفَـتَاةِ

يشخّص الشاعر خمرته في الأبيات السابقة في صورةعجوز هرمة، مؤكّدا لها ومثبتا صفة القدم والتعتيق، نازعا عنها صفة الشباب و النضارة، مسبغا عليها -أيضا- بصفة الشيخوخة والكبر. وإذ يلحّ الشاعر على وصف خمرته بالعتق والقدم فذلك لأنها قادرة على استثارته بسورتها المعتّقة وطبيعتها المتقادمة، وهذا ما لا يتأتّى إلا إذا كانت خمرته – أو محبوبته- معتقة قديمة، ولأجل ذلك استحقّت لقب الشيخ المجرّسة المضرّسة، لا الفتاة المراهقة ضعيفة الخمرة قليلة المعرفة. وإنّ لقب الشيخ بما يترك في الوجد من ألوان الخبرة والمهابة في العربية لتجد ما يقابلها لدى الأمم القديمة من رفعة يذكّر مقابلا له ببنات كسرى بنات الخبرة والرفعة والحكمة التي استقرّت في قصور الأكاسرة وبيوتها، ويعني بذلك أنّها بكل اللغات وعند الأمم كلّها مقدّمة مقدّرة. وإنّه لتبدو له مع كبر سنّها شديدة الجاذبية وافرة الحنان حينما يجد فيها ما فقده في حياته، بل يطلب منها القرب أو الخطبة بعدما تجلّت له " في صورة المرأة ..(التي) تجسّد عالم الحيوية

١- الديوان: ١٦٥- ١٦٦.

٢- بنات كسرى: وهي الخمرة. ونسبها إلى كسرى لأنها شراب الملوك والأكاسرة.

٣- المبتكر: المبكر .

والاستجابة "[١]. لتبدو الخمرة لأبي نواس " درب خلاص من بؤس هذه الواقع ، إنها تعزل النفس عن الخطوب، فتنفلت عن مرارة الحياة "[٢].

٣- الخَمرَةُ قَتِيلَةٌ :

ويشخّص الشاعر أبو نواس خمرته في صورة إنسانة مقتولة، أو مطعونة غارقة في بحر دمائها. فيقول[٣]:

فَلَمَّا وَدَّجَ الدَنَّ	**وَسَالَتْ خَمْرَهُ رَاسَا[٤]**
بَكَىْ وَانتَحَبَ العُوْدُ	**وَأَبْدَىْ الدَفُّ وَسْوَاسَا**
وَقَامَ النَّايُ يَشْكُوْ بَـ	**ـثَّ مَا لَاقَىْ وَمَا قَاسَىْ**
وَصَاحَ الصَّنجُ حَتَّى أَخْـ	**رَسَ النُّدْمَانَ إِخْرَاسَا**

يشخّص الشاعر أبو نواس خمرته بإنسانة مطعونة غارقة في دمائها، وذلك بأثر من طعن دنّها وسيلان دمائها، وذلك في غير موضع من شعره[٥]. ويحقّق الشاعر تشخيص الخمرة قتيلة مضرّجة في دمائها في الأبيات السابقة عبر إسناد الفعل الإنساني إليها، والذي يتمثّل بالقتل، في:" ودج ، سالت".

ويتابع الشاعر في رسم المشهد العام للقتل، وذلك بإضفاء لون من الجو المأتمي عليها الذي رافق حادث الطعن أو القتل، ففيه كان البكاء والانتخاب على المقتول وما تتبعه – بعد ذلك – من صياح وعويل وانتحاب وشكوى عليه. فبعد

١- جدلية الخفاء والتجلي، د. كمال أبو ديب ، ط٣، دار العلم للملايين –بيروت، ١٩٨٧م: ١٧٣-١٧٤.

٢- الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ساسين عساف، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر– بيروت، ١٩٨٢م: ١١٠.

٣- الديوان : ٢١٧.

٤- ودّج: طعن .

٥- ينظر– الديوان: ٢ ، ٣٢ ، ٨٠ ، ٩٢.

مقتل الخمرة وإراقة دمائها يعلم يهرع العود بالبكاء والنحيب، ليشاركه بذلك الدف الحزين، ثمّ ينضم إليهما الناي بالشكوى والصراخ لما قدّ حل بالخمرة من مصير ألم. ليكتمل بذلك المشهد الجنائزي السابق مع صياح الصنج المتألم لمقتل الخمرة، فيبهت بصياحه الندمان ويدفعهم على الحزن والأسى. ويحقّق استخدام الشاعر للتشخيص في بعث الحياة والحيوية في الخمرة لتقديم رؤيته الشاملة للخمرة وتصوّره له.

ويذهب الشاعر من جديد إلى رسم مزيد من صور قتله للخمرة والإجهاز عليها. يقول[١]:

ثُمّ تَوَجَّأتُ خَصرَهَا بِشَبَا ا لإِشْفَىْ فَجَاءَتْ كَأَنَّهَا لَهَبُ [٢]

فها هو ذا يبقر بمثقبه الخمرة في خصرها قصدا صراحا لقتلها والإجهاز عليها تحقيقا لرغبة مكبوتة وحلّا لعقدة لزمته طويلا وأرّقته عميقا، وهو بهذا يبتغي النيل – لا شعوريا – من أمّه التي أوقعت نفسها في الرذيلة فجلبت له الشقاء والألم وتركت في نفسه رغبة الانتقام والثّأر. وفي الوقت الذي لا يستطيع أبو نواس واقعا تحقيق هذه الرغبة الدفينة فإنّه يحقّقها خيالا ويرضى لنفسه بها بديلا. وبهذا يتخلّص من رغبة مكبوتة في أعماقه بالتنفيس عنها، محاولا تحقيق الخلاص والسلام. وقد مكّن أسلوب التشخيص الشاعر من تقديم موقفه وبناء رؤيته بأسلوب خاص جمالي نابض بالحياة، و" أن يعبّر عمّا لا تطيقه اللغة "[٣].

ويتابع الشاعر في تأكيد صورة الخمرة القتيلة في مواطن أخرى من شعره، فيقول :[٤]

١- نفسه: ٥

٢- توجأت: ضربت. بشبا الإشفى : بحدّ المثقب .

٣ -علم الأسلوب، د.صلاح فضل: ٢٢٥.

٤- الديوان: 138.

أَأَدْمَيْتَ بِالمَاءِ القَرَاحِ جَبِيْنَهَا لِتَسْمَعَ فِيْ صَحْنِ الزُّجَاجِ أَنِيْنَهَا[١]
فَصُنْهَا عَنْ المَاْءِ القَرَاحِ وَهَاتِهَا فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَسْقِنِيْ مِتُّ دُوْنَـهَا
فَقَدْ سَمِعَت أُذْنَاكَ عِنْدَ مِزَاجِهَا أَنِيْنَـا وَأَلْحَانَا تُجِيبُ دَنِيْنَـهَا[٢]

ويرسم أبو نواس بأسلوب التشخيص للخمرة صورة مفجعة دموية سمتها الإلام والتعذيب ، وذلك عبر إسناد الأفعال والصفات الإنسانية إليها " جبينها ، أنينها ، فصنها ". وبهذا يصوّر الشاعر الخمرة إنسانا شفافا حساسا يتضرّر حتى بمزجه والماء القراح، بل إن الماء– مع شدة شفافيته – يصبح مصدر ضرر وأذى وسبب قتل لها حين يتمّ مزجها به، فيتسبّب بقتلها ومفارقتها الحياة. وعليه – وبعد أن ثبُت إنسانيتها – ينبعث عنها الأنين و يخرج الصراخ ليخبرا بما حدث لها ومترجما تلك الفاجعة. ويؤكّد الشاعر موقفه السابق باتّكائه على أسلوب التشخيص شكلا فنيّا مخصّصا لبلورة معناه ورؤيته؛ إذ إنّ " الشكل تجسيد انفعاليّ تمّ الشعور به بفعل الوعي "[٣].

وفي مشهد آخر يقدمّه الشاعر لخمرته القتيلة يدلّل فيه على عمق العلاقة الدموية التي تجمعه والخمرة المضرّجة بدمائها، فيقول :[٤]

مَاْ زِلْتُ أَسْتَلَّ رُوْحَ الدَنِّ فِيْ لُطْفٍ وَأَسْتَقِيْ دَمَهُ مِنْ جَوفِ مَجْرُوْحِ
حَتَّىْ انْثَنَيتُ وَلِيْ رُوْحانِ في جسد وَالدَنُّ مُنْطَرِحٌ جِسْمَاً بِلَا رُوْحِ

وهنا نرى الشاعر يتلذّذ بتعذيب خمرته وقتلها، وهي التي أخذت من نفسه ما أخذت من الحب والتقدير؛ والشاعر إذ يقتلها ويسيّل دماءها فإنّه يضمن بذلك نيلها والاستبقاء عليها، والارتواء منها، وبذلك يحلّ عقده ويطرد همومه ويبدّدها.

١– الماء القراح : الماء النقي .

٢– الدنين : الدندنة ، وهي النغم بغير كلام يفهم .

٣– نظرية التشكيل الاستعاري، د. نواف قوقزه :٣٦ .

٤– الديوان : ٩٢ .

ففي قتل الخمرة وتعذيبها (أستلّ، وأستقي، ومنطرح) حياة للشاعر، ونسيان لهمومه وطرد لغمومه وجلاء لأحزانه. ولذلك يفرح لهذا القتل كثيرا ويبتهج له. ومن جهة أخرى يحقّق لديه رغبة خفية بتطهير الماضي الأليم الذي شكّل مزاجه بألوان الألم جرّاء سلوك أمّه القديم، فبالقتل خلاص وتطهير وغسل لما علق بالنفس، وإن كان ذلك كلّه خيالا وليس واقعا، فالشاعر" حين يستخدم خياله لا يهرب من الحقيقة، بل يلتمس الحقيقة كذلك في الخيال. فالخيال والواقع كلاهما وسيلة لنقل ذلك الصراع الداخلي الذي يعاني منه.. ويحاول الهروب من حالة إحساسه الحاد بالواقع، واقعه النفسي الذي يموج بألوان الصراع، وهو أدنى إلى التخلّص منه إلى الهروب"[١].

٤- الخَمْرَةُ مَخْطُوَبةٌ :

يشخّص الشاعر في غير قصيدة من شعره الخمرة مخطوبة مطلوبة لطالبيها، فيقول[٢]:

لَمَّا أَتَيتُ الدّهقَانَ أَخطُبُهَا ... مِنْ بَينِ أَصهَارِهَا وَأَحمَاهَا

قَالَ: مَنْ الخَاطِبونَ قُلْتُ لَهُ: ... فِتيَانُ صِدْقٍ فَقَالَ: أَكفَاهَا

يدرك المتبصّر في حياة أبي نواس أن صراعا حادّا كان يعيشه الشاعر بين داخله النفسي وخارجه الواقعي، وأنّه ليس أمامه حلّ لهذا الصراع أو القلق إلا بالانكباب في عالم الخمرة ونشوتها طلبا للخلاص والسكون، وما تقدّمه له من ميزة النسيان وميزة اللذة، أو هي كم يراها ميزة المؤانسة والسكون التي جسّدها في أرقى صورها وأعظم حاجاتها لديه في صورة الخطيبة وما تتركه في نفسه من بهجة ودهشة ولذة وعوض.

١- التفسير النفسي للأدب، د. عزالدين إسماعيل: ٣٦-٣٧.

-٢ الديوان: ٦٨١ . وينظر : ٧٠٠.

وفي الوقت الذي يروم الشاعر فيه إعلاء منزلة الخمرة وردّ ما يشبه الجميل لها فإنّه يذهب للإسباغ عليها بأعلى صورة وأبهى تقدير، حين يشخّصها في صورة الخطيبة التي يتقدّم بحماس واندفاع لخطبتها والزواج بها. وبذلك لم تعد العلاقة التي تجمعه بالخمرة ذات العلاقة التي تجمع الخمرة بالناس؛ من حيث هي علاقة شراء وشرب محض، بل إنّ علاقته بالخمرة مختلفة وراقية وجديدة تعدّت حدود ذلك وتحوّلت إلى علاقة محبّ بمحبوبه وخاطب بمخطوبه؛ حيث إنّها لتقدّم لشاربها وشاريها ما تقدّمه المخطوبة لخاطبها من حاجة وبهجة. ولذلك يخطب الشاعر الخمرة من أهلها، بل ويحاورهم في ذلك، ويحاورنه محاورة الخاطب(أخطبها ، ومن الخاطبون..). وهكذا تكون الخمرة بتشخيصها مخطوبة تماما ومعها تنفتح الأجواء للاكتشاف والتعارف بين الطرفين. وبهذا يجد الشاعر الذي فقد جانبا كبيرا من الثقة في واقعه بالنساء نتيجة ما مرّبه من أحداث حامت حول والدته حلّا وخلاصا ، أو هو بديلا لا يجلب معه كدر أو غدر أو أية مخاطرة غير مضمونة العواقب. وممّا ساعده على تشكيل رؤيته السابقة للخمرة التجاؤه إلى أسلوب التشخيص الذي يمكّنه من بثّ الحياة في الخمرة ومقاربتها من الوجهة التي يريدها ويحتاجها. فالموقف يتدخّل هنا في اختيار أسلوبه، وعلم الأسلوب " يقرّر أن نمط القول يتأثر بالموقف"[١].

ويتابع أبو نواس في تصوير خمرته خطيبة يتقّدم لنيلها وقبولها عبر تشخيصه لها، فيقول:[٢]

خَطَبْنَا إِلَىْ الدَّهْقَانِ بَعْضَ بَنَاْتِهِ ... فَزَوَّجَنَا مِنهُنَّ فِيْ خِدْرِهِ الكُبْرَى[٣]

وَمَاْ زَالَ يُغْلِى مُهْرَهَا وَيَزِيْدَهُ ... إِلَىْ أَنْ بَلَغْنَا مِنْهُ غَايَتَهُ القُصْوَى

١- مدخل إلى علم الأسلوب، د. شكري عياد: ٤٧.

٢- الديوان: 118.

-٣ الدهقان : التاجر. وبعض بناته: يريد الخمرة .

رَحَيْقًا أَبُوهَا المَاءُ وَالكَرْمُ أُمُّهَا وَ حَاضِنُهَا حَرَّ الهَجِيْرِ إِذَا يَحْمَى
لِسَاكِنِهَا دَنَّ بِهِ القَارُ مُشْعَرٌ إِذَا بَرَزَتْ مَنْهُ فَلَيْسَ لَهَا مَثْوَى[1]
يَهُوْدِيَةُ الأَنْسَابِ مُسْلِمَةُ القُرَىْ شَآمِيَّةُ المَغْذَى عِرَاقِيَّةُ المَنْشَا
مَجُوسِيَّةٌ قَدْ فَارَقَتْ أَهْلَ دِيْنَهَا لِبُغْضَتِها النَّارَ التِيْ عِندَهَمْ تُذْكَى
رَأَتْ عِنْدَنَا ضَوْءَ السِّرَاجِ فَرَاعَهَا فَمَا سَكَنَتْ حَتَّىْ أَمَرْنَا بِهِ يُطْفَى

يشخّص الشاعر في الأبيات السابقة الخمرة خطيبة تامّة ، ويأحذ في رسم صورة دقيقة لهذه الخطيبة(الخمرية). فيصوّر لنا صاحب الخمرة (الدهقان) وليّا لأمرها يخطبها الناس منه؛ حيث يقوم هذا الدهقان بالموافقة على تزويج الشاعر من أكبر بناته عنده، أو بمعنى أنّه قدّم له أقدم الخمور لديه. وفي صورة إنسانية تقليدية للخاطبين يأخذ الشاعر كعادة الخاطب بمساومة ولي أمر المخطوبة، أي الدهقان في مهر ابنته العروس التي زاد عليه في مهرها كثيرا، لأنه يعلم بأنّها عروس مميّزة ذات نشأة خاصة وأسرة عريقة. فهذه الخمرة العروس من نسل عريق؛ حيث إنّ الماء أبوها، وإنّ الكرم أمها، كما أنّ حر الهجير حاضنها، وأنّ الدن المشعر مسكنها. و هي بذلك تستحق أن يغلى لها المهر، وحبّ الشاعر لها.

وقد استحقّت الخمرة المخطوبة مهرها الوافر لما رأى الشاعر بتشخيصها فيها من صفات إنسانية متفرّدة، وجمعها خصال متفرقة بين أعراق وأديان شتّى لم يتأتَّ لمخطوبة أن تجتمع فيها غيرها، ففيها أفضل ما كان في اليهودية والمسلمة والشآمية والعراقية والمجوسية من خصال محمودة رفيعة، زانها بذلك حسّ مرهف وذوق عالٍ وحساسية معيّنة جهة النار خاصة لأنّها تكره النار التي طالما عبثت بطبيعتها عبر تعريض الخمرة لها فغيّرت من مزاجها أو سلوكها، أو

١- القار: الزفت. مشعر: ملصق .

من سورتها وإسكارها وهذا ما كان شائعا لدى المجوس الذين رفضت فيهم حبّهم للنار التي طالما آذت الخمرة وأدمتها. وبهذا الأسلوب الفني أو باستراتيجية تشخيص الخمرة نجد أنّ أبا نواس قد" استعاض بها عن المرأة الحقيقية بالمرأة التي تخيلها في الخمرة وأسقط ما في خياله من أمنية لنمط المرأة المشتهاة على الخمرة ، فجعلها عذراء مصونة محجوبة متمنعة على الرجال"[١].

ويشخّص الشاعر الخمرة فتاة مخطوبة مُوسعة بالحديث عن نفسها، مُبسطة ما يدور في داخلها، فيقول[٢]:

يَاْ خَاْطِبَ القَهْوَةِ الصَّهْبَاءِ يَمْهُرُهَا ... بِالرِّطْلِ يَأخُذُ مِنْهَا مِلأَهُ ذَهَبا
إنّيْ بَذَلتُ لَهَا لَمَّا بَصرْتُ بِهَا ... صَاعَا مَنْ الدُّرِ وَاليَاقُوتِ مَا ثُقِبَا
فَاسْتَوْحَشَتْ وبَكَتْ فِيْ الدَنِّ قَائِلَةً ... يَا أُمُّ وَيْحَكَ أَخْشَى النَّارَ واللَّهَبَا
فَقُلْتُ : لَا تَحْذَرِيْهِ عِنْدنَا أَبَدًا ... قَاْلَتْ: وَلَا الشَّمْسَ قُلْتُ:الحَرُّ قَدْ ذَهَبَا
قَالَتْ: فَمَنْ خَاطِبِيْ هَذَا فَقُلتُ: أَنَا ... قَاْلَتْ : فَبَعْلِيَ قُلْتُ : المَاءُ إنْ عَذُبَا
قَالَتْ : لِقَاحِيْ فَقُلتُ : الثَّلْجُ أُبرُدُه ... قَاْلَتْ : فَبَيْتِي فَمَا اسْتَحْسِنُ الخَشَبَا
قُلتُ : القَنَانِيُّ والأَقْدَاحُ وَلَّدَهَا ... فِرْعَوْنُ قَاْلَتْ : لَقَدْ هَيَّجْتَ لِيْ طَرَبَا

يشخّص أبو نواس في قصيدته السابقة خمرته بمخطوبة حييّة؛ حيث يجعلها قادرة ناطقة متحدّثة بطلاقة عن نفسها: " بكت ، وقالت... " فيقدّمها مخطوبة تعرض عن ذاتها، باسطة شروطها لخاطبها، غير حاذرة أو واجفة من إعراض الخاطبين عنها، فهي تعلم يقينا أنّ هؤلاء الخاطبين يقدرونها حق تقديرها، وعلى رأسهم أبو نواس الذي تقدّم لخطبتها وإغرائه لها باذلا فيها الدر والياقوت وكل ثمين على غير صاحبه الذي توانى وقصر عن معرفته سرّ الخمرة

١- قراءة ثانية في بائية أبي نواس" خاطب القهوة"، د. نوره الشملان، مجلة أبحاث اليرموك- جامعة اليرموك- الأردن، م١٥، ع١، ١٩٩٧م: 123.

٢- الديوان: 91. وينظر : ٦٨١ ، ٧٠٠ .

ونفاسة الجوهر. بل يذهب الشاعر في قبول كامل شروطها ويمعن في إغرائها بضمانه لها كلّما تتمناه وتشتيه، وعلى رأس ذلك عدم رؤيتها النار أو اللهب الذين تخافهما وتكرهما، ولهذا يطمئنها بتوفير الماء والثلج والأقداح والقناني الثمينة لها..

ويحقّق الشاعر في الأبيات السابقة للخمرة إنسانيتها عبر استخدامه أسلوب التشخيص، الذي عضدته بأسلوب الحوار الذي دار بينه وبين مخطوبته الخمرة؛ حيث ساعد أسلوب الحوار على استنطاق الخمرة ومنحها الفرصة لتقديم نفسها بنفسها، والدفاع عن صورتها بوصفها مخلوقا واعيا حسّاسا أديبا حضاريا.. وهذا ما ساعد – كذلك – على عكس صورة الخمرة السائدة في المجتمع وتحسينها لدى الناس، وبالتالي يساعد الشاعر على كسب معركته في الدفاع عن الخمرة والقيم الفكرية حولها بأشكالها كافّة. وقد أكّد الشاعر بما لا يدع مجالا للشك تمام إنسانية الخمرة وتمام شخصيتها باستخدامه لأسلوب التشخيص الذي عضده بأسلوب الحوار الذي حقّق تعميقا بالغا لإنسانيتها تجاوز معه الوصف الإنساني إلى الفعل الإنساني، " وبالحوار يضفي على القصيدة جوّا من الحركة والفرح، والنشوة يناسب مجالس الخمرة التي كانوا يعقدونها "[١]. وبذلك كشف الشاعر عن مشاعر الخمرة المخطوبة الرقيقة وعن أحاسيسها المرهفة، لتبدو الخمرة للشاعر تعويضا عمّا يكتنف أعماقه ويختلج ماضيه، و" سكنا ونافذة على الحياة يستغلّها للكشف عن منابع الجمال الحسي في كل الأشياء "[٢]. فالشاعر الذي أصيب من العالم عامة والمرأة خاصّة يهفو بالخمرة إلى خلق عالم آخر جديد، يبعد به عن

١- أبو نواس، إلياس عشي: ٧٦.

٢- خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، د. أيمن العشماوي، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، ١٩٩٨م: 78.

عالم الواقع إلى " عالم الخلاص أو التعزية الذي هو أقرب إلى عالم الروح أو عالم ما بعد الحياة "[١]، مستخدما لهذا أسلوب التشخيص" الذي يبدو أكثر ارتباطا بالمعاني والمشاعر، فيقدّم المعنى في صورة حسية نابضة بالحياة، وهذا يكسب الصورة بعدا دلاليا مميزا "[٢].

٥- الخَمْرَةُ عَرُوسٌ :

يشخّص الشاعر أبو نواس خمرته في صورة عروس بكر في مواضع متعدّدة من ديوانه، فيقول[٣]:

فَهي فِيْهِ عَرُوْسُ خِدْرٍ وكنٍّ ... رُبِّيتْ فِيْ النَّعِيْمِ بَعْدَ النَّعِيْمِ

فِيْ ظِلَالٍ مَحْفُوَفَةٍ بِظِلَالِ ... مِنْ كُرُوْمٍ وَمِنْ عَرِيْشِ كُرُوْمِ

زُرْتُهَا خَاطِبَاً فَزُوِّجْتُ بِكْرَاً ... فَفَضَضْتُ الخِتَامِ غَيْرَ مُلِيْمِ

عَنْ فَتَاةٍ وَكَأَنَّهَا حِيْنَ تَبْدُوْ ... طَلْعَةُ الشَّمْسِ فِيْ سَوَادِ الغُيُوْمِ

...

فَبِهَا لَذَّتِيْ وغَايَةُ أُنْسِيْ ... لَسْتُ عُمْرِي عَنْ شُرْبِهَا بِسَؤُوْمِ

يصوّر الشاعر – في الأبيات السابقة – خمرته بعروس بهيّة بكر مُلذّة لصاحبها، لم تطلها يد من قبل ولم يسبقه أحد إليها. ويشخّصها عروس خدر ودلال قد ربّيت في بيت عزّ ونعيم بعد نعيم، في قصر من كروم فوق كروم في ظلّ وظلال محفوفة بعناية، إنّه عالم غير متاح بيسر للناس ودونه البحث والتعب للوصول إلى أمانيهم وغايتهم. وفي سبيل هذه العروس يقيم الشاعر رحلته الشاقّة باحثا عن أغلى ما تطلبه النفس من سكن ومودّة. وها هو ذا يفلح في

١- موقف الشعر، د . محمد زكي العشماوي: 197.

٢- الصورة الفنية عند العباس بن الأحنف، عبدالله الميسري، رسالة ماجستير، جامعة عدن – اليمن، ١٩٩٩م:134.

٣- الديوان: 175.

صيده ويحقّق مناله ويكسب عروسه وسعده " طلعة شمس، ولذّتي، وغاية أنسي"، فيقبل عليها متزوجا بها، مواطئا لها فاضّا عن عذرتها، فتمتعه وتبهجه وتؤنسه وتسكنه، زوجا يشعر نحوها بشعور إنسانيّ تامّ .

ويتابع الشاعر في تشخيص خمرته عروسا مشتهاة ذات سمت إنسانيّ خالص، فيقول"[١]:

وَأَبْرَزَ بِكْرَاً مُزَّةَ الطَعْمِ قَرْقَفَاً صَنِيْعَةَ دِهْقَانٍ تَرَاخَىْ لَهُ العُمْرُ[٢]

فَقَالْ : عَرُوْسٌ كَاْنَ كِسْرَى رَبِيْبُهَا مُعَتَّقَةٌ مِنْ دُوْنِهَا البَابُ وَالسِّتْر

فَقُلْتُ : أَدِلْ مِنْهَا العِنَانَ فَإِنْنَيْ لَهَا كُفْءُ صِدْقٍ لَيْسَ مِنْ شِيَمِيْ العُسْرُ[٣]

فَجَاءَ بِهَا شَعْثَاءَ مَشْدُوْدَةَ القَرَا عَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مَلَاحِفُهَا عُفْرُ[٤]

فَلَمَّا تَوَجَّى خَصْرَهَا فَاحَ رِيْحُهَا فَقُلْتُ : أَذَا عِطْرٌ فَقَالَ : هُوَ العِطْرُ[٥]

وتستمرّ رحلة الشاعر في البحث عن عروسه الخمرية في حانات الدهاقين وفي الأماكن التي لا يُستطاع الوصول إليها بسهولة، فدون العروس أو الخمرة أهوال كثيرة "دونها الباب والستر"، فهي عروس خاصة ذات تربية خاصة وعناية نادرة "صنيعة دهقان" خبير " تراخى له العمر"، وذات دلال وجمال ومستوى رفيع في نشأتها، حيث إن كسرى ذاتها من كان "ربيبها"، ولأجل ذلك كانت أمنية للخاطبين الباحثين عن عروس ذات جمال وكمال. ويشخّص الشاعر عروسه إنسانة حقّة حيث تُعرض للخاطب في أبهى حلّة وأتمّ زينة لتنال إعجابه؛ وهي لا تجد صعوبة في جذب الشاعر وقبوله، فهي عالمه ومبتغاه. وها هو ذا يقبل

١- المرجع نفسه: ١٠٠. وينظر: .١٨٣.

٢- مزّة : الخمر فيها حموضة. الدهقان : بائع الخمر .

٣- أدل :أي مكّنه منها .

٤- شعثاء: مغبرة الرأس .القرا : الظهر. ملاحفها : ما لفّ حولها من خرق لوقايتها .

٥- توجى: ضرب.

عليها مندفعا يشتمّ منها أجمل رائحة فائحة كعطر عبق حين يكشف عن جسدها "توجّى خصرها"، وحينئذ يتمكن منها. وهنا يكشف استخدام الشاعر لأسلوب التشخيص عن رؤيته الفنية في استحضار العالم الخفي للخمرة ونقله إلى الواقع؛ إذن اختيار أسلوب التشخيص هنا ليؤّكد بأنّ" كلّ تطور حيوي في اللغة إنّما هو تطوّر في الشعور كذلك، وأنّ الألفاظ والفكر لا ينفصلان"[١].

ويذهب الشاعر في رسم صورة عروس لخمرته التي طالما بحث عنها، فيقول[٢]:

حَصَّنْهَا فِيْ الحِيَاضِ فَاحْتَجَبَتْ ... مَاْ رَاعَهَا رَهْبَةٌ وَلَا فَرَقُ [٣]

خَمْسِيْنَ عَامَا حَتَّى إِذَا هَرِمَتْ ... وَاخْضَرَّ مِنْ نَبْتِ نَبْتِهَا الوَرَقُ

أَتَوْا بِهَا فِيْ الحِبَابِ يَخْفُرُهَا ... مَشْيٌ هُوَيْنَى مَا إِنْ بِهِ نَزَقُ [٤]

فَبَادَرَوا لِافْتِضَاضِ عُذْرَتِهَا ... بِنَاقِدٍ فِيْ شَبَاتِه زَلَقُ [٥]

فَسَالَ مِنْهَا مِثْلَ الرُّعَافِ دَمٌ ... يُشْفَى بِهِ مِنْ سِقَامِهِ الصَّعِقُ [٦]

ويصوّر في الأبيات السابقة خمرته محصّنة برعاية وعفّة خاصّة ، محتجبة في دلّها ودلاها ونعيما لا تصيبها حاجة ولا خوف كأكثر العامة من الناس ، فهي ذات مستوى اجتماعي رفيع، وعندما حان وقت زواجها تجد حولها الحشم والخدم، والأهل ذوي العدد يزفونها و" يخفرونها" برعاية كبيرة دلالة على رفعتها ومكانتها. والعروس أو الخمرة بهذه الصفات أمنية لكل طالب لها باحث عنها،

١- ت.س آليوت، ف.ماثيسن: ١٨٠.

٢- الديوان:٥٣ .

٣- الفرق: الخوف.

٤- الحباب : مفردها حب، وهي جرار الخمر. يخفرها: يصونها. النزق: الطيش.

٥- عذرتها: خواتيم الدنان. الناقد: المثقب . شباته: حدّه . زلق: حِدّة .

٦- الصعق : المغشي عليه.

وأوّلهم الشاعر الذي بادرها بنكاح كما هم الزواج وما يعتوره من علاقة زوجية واضحة أبانها" افتضاض عذرتها، ودم...". وممّا يُرجّح سبب تعلّقه بالخمرة عروسا وإن تقادم سنّها هو سلوك والدته وانحرافها بعد وفاة أبيه، وما ترك في نفسه من نفور عن المرأة[١]، ولأجل ذلك اتّخذ الخمرة " عوضا عن اللذة التي صدّ عنها في النساء، وظل في كثير يحنّ إليها... فهو في كلّ التخيّل الشهواني العنيف تجاه الخمرة يجد في صميمه إرضاء انفعاليا يعتقد انه إرضاء جنسيّ، ويستعيض به عن الإرضاء الواقعي الذي عجز عنه في أغلب الأحيان" [٢]. وبذلك أخذت الخمرة تحرّره من المنع والحرمان،" ومن هنا كان رفض التقاليد، شرائع كانت أو عادات شكلا من أشكال الأمل بنظام آخر ينتفي فيه القمع بشتّى أشكاله "[٣].

٦ ـ الخَمْرَةُ مُسْعِدَة :

ويستمرّ الشاعر في تشخيص الخمرة وتقديمها في صور إنسانية متعدّدة بحسب حاجته، وبحسب رؤيته. وفي هذا الموضع يشخّص الخمرة في صورة كائن حيّ يفيض بالسعادة والفرح، والخير والبركة، يقول[٤]:

وَلَّىْ الصّيَامُ وَجَاءَ الفِطْرُ بِالْفَرَحِ ... وَأَبْدَتْ الكَأْسُ أَلْوَانَاً مِنْ الْمُلَحِ

وَالخَمْرُ قَدْ بَرَزَتْ فِيْ ثَوْبِ زِيْنَتِهَا ... فَالنَّاسَ مَاْ بَيْنَ مَخْمُوْرٍ وَمُصْطَبِحِ

١- نفسية أبي نواس، د . محمد النويهي: ٨٣، ٨٦- وينظر - قراءة في بائية أبي نواس، نوره الشملان: ١٢٥.

٢- المرجع نفسه: ٩٢ - ٩٣.

٣- الثابت والمتحول، أدونيس، أحمد بن سعيد، ط٢، دار العودة-بيروت، ١٩٧٩م: ١١٤.

٤- الديوان: ١٠٤.

وهنا يصوّر الشاعر الخمرة بعد أن انقضى شهر الصيام، وبعد أن حلّ الفطر من بعده بالفرح وبمباهجه، بكائن مهيب يخرج بترقّب على الناس متزيّنا يخطف معه الأبصار والألباب دهشة ورهبة تصيب الناس بفرحة قصوى ونشوة بالغة. ويحقّق تشخيصه للخمرة باستخدامه لفظ "برزت" حضورا خاصّا معظمة معيّنة للبارز، فلا أقلّ من يؤتي معه للناس ما يتشوّقون إليه وما يأملون به من سعادة وخير، سيّما أن هذا البروز جاء من بعد انقضاء الصوم، فهو يذكّرنا بالعيد، والخمرة تصبح هي العيد السعيد في صورة إنسان .

ويستمرّ الشاعر في تشخيص الخمرة امرأة تصدّر السعادة والفرح للناس، فيقول[١]:

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الأَحْزَانُ سَاحَتَهَا ... لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

رَقَّتْ عَنْ المَاءْ حَتَّىْ مَا يُلَائِمَهَا ... لَطَافَةً وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا المَاءُ

فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُوْرَاً لَمَازَجَهَا ... حَتَّى تَوَلَّدَ أَنْوَارُ وَأَضْوَاءُ

دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ ... فَمَا يُصِيبُهُمُ إِلَّا بِمَا شَاءُوْا

يسبغ الشاعر في الأبيات السابقة على الخمرة بصفات الكائن الذي يفيض بالسعادة والفرح والخير والبركة، فيشخّصها إنسانة –" ساحتها، ومسّها، ورقّت، ودارت، ودارت "– مسعدة حنونا رؤفا رؤوما، بل يصوّرها ذات نور وخير تجعل من الحجر إذما لامسها يحسّ بالسعادة والسرور بما تولّده من سر سعادة وفرح، أو من نور خير وضياء. بل إنّه يمنح خمرته فاعلية التحويل والتبديل للمشاعر بحسب إرادة شاربيها. وهكذا يصوّر الشاعر خمرته كائنا أو امرأة ذات خمرته

١– الديوان: ٦. وينظر: ٢ .

طبيعة خاصة " قادرة على تغيير الزمن وتحويله إلى قيمة خاصة ومختلفة... فهي ذات إرادة قادرة على خلق الوجود الذي يشاؤه شاربها "[١].

ويُسعف أسلوب التشخيص الشاعر على إبراز ملامح هذا الخمرة المسعدة المفرحة، ذات الإرادة والقدرة، فيقول[٢]:

تَنَفَّسَتْ فِيْ وُجُوْهِ القَوْمِ ضَاحِكَةً تَنَفِّسَ المِسْكِ فِيْ تَفْلِيْحِ تُفَّاحِ [٣]

ويُسند هنا فعل تنفّسها الإنساني في وجوه القوم وهي تقدّم ضحكاتها الجميلة العابقة عن أنفاس مسك طيب أو رائحة تفاح لذيذ، وهذا ما لا يطلب إنسان فوقه من سعادة وفرح؛ حيث الأنوثة والرقة والضحك والرائحة الطيبة، بما يشكّل بمجموعه قيمة السعادة وبما يؤكّد للخمرة صفة

الإسعاد ونفي الهموم عن جلسائها وأصحابها.

ومن جديد يستغلّ الشاعر طاقات التشخيص ليكشف على عمق العلاقة العميقة، وعن الوثاق المتينة بينه وبين الخمرة، فيقول :[٤]

عَاذِلِيْ فِيْ المُدَامِ غُيرُ نَصِيْحِ لَا تَلُمْنِيْ عَلَىْ شَقِيْقَةِ رُوحِيْ

...

لَا تَلُمْنِيْ عَلَىْ الَّتِيْ فَتَنَتنِيْ وَأَرَتنِيْ القَبِيْحِ غَيرَ قَبِيْحِ

قَهْوَةٌ تَتَرُكُ الصَّحِيْحَ سَقِيمَاً وَتُعِيْرُ السَّقِيمَ ثَوْبَ الصَّحِيحِ

وهنا يجعل أبو نواس من الخمرة له روحا أخرى، فلا يستطيع مع هذه الحال الاستغناء عنها أبدا، فهي خمرة بظاهرها فقط، أمّا في باطنها فهي كائن سعادة يسوّغ له سلوكه مهما كان خاطئا و منحرفا؛ إذ إنّها قادرة على تغيير

١- موقف الشعر، د. محمد زكي العشماوي: ١٩٨.

٢- الديوان : ٢١٤ . وينظر: ١٥٩ . ٢٢٠ .

٣- تفليح : تشقيق.

٤- الديوان: ٢٤.

مشاعره وقيمه حتّى ما تأتي عليه إلا بالسعادة والفرح. إنّها بذلك سلاحه السرّي في مواجهة الأحزان والهموم. فلذلك تريه" القبيح غير قبيح "، وتعير لسقمه "ثوب الصحيح". وما تشخيصه السابق للخمرة وما خلعه عليها من قدرة على تغيير أحوال النفس" شقيقة روحي، وفتنتني، وأرتني، وتترك " إلا توكيد كبيرا منه لرؤيته للخمرة بأنها مُسعدة مُسعفة تجعل لصاحبها وكلّ من آمن بها.

ويستمرّ الشاعر في استخدامه التشخيص لإبراز صفات خمرته المُسعدة، فيقول[١]:

خُلِقَتْ لِلْهَمِّ قَاهِرَةً وَعَدُوَّ المَالِ وَالنَّشَبِ [٢]

لَمْ يَذُقْهَا قَطُّ رَاشِفُهَا فَخَلَا مِنْ لَاعِجِ الطَّرَبِ

لَا تَشِنهَا بَالَّتِيْ كَرِهَتْ فَهْيَ تَأْبَى دَعْوَةَ النَّسَبِ

وفي الأبيات السابقة يشخّص الشاعر خمرته عبر إسناد الصفات الإنسانية الإيجابية إليها " تشنها، وكرهت، وتأبى..."، فيرى هذه الخمرة قاهرة للهموم، وعدوا للمال مهلكة له؛ إذ لا حاجة للمال بحضورها أو قياسا إلى ما تقدّمه من سعادة ولذّة. فهي لذلك تبعث بالنشوة والطرب في نفوس شاربيها. وما هذه الحال للخمرة فإنّه معها وفي حضورها تسقط قيم الحسب والنسب التي ربّما حُرم منها الشاعر؛ إذ هي تعوّض وتغني عن ذلك فلا حاجة للقيم الزائفة التي لا ترجع على أصحابها بغير العناء دون السعادة. ولهذا فانّ أبا نواس " يستريح إلى شربها حيث لا فخار بالآباء والأجداد بين الندامى الذين يهابونه ويتذلّلون بين يديه "[٣].

١- المرجع نفسه :٦٧٨.

٢- النشب: المال والعقار

٣- أبو نواس، عباس العقاد: ١٤٢ .

وفي موضع آخر يذهب الشاعر إلى تشخيص الخمرة خالعا عليها بصفات الإسعاد والعطاء، أو الإجلال والتقديس، يقول :[١]

أَثْنِ عَلَى الخَمْرِ بِآلَائِهَا وَسَمِّهَا أَحْسَنَ أَسْمَائِهَا

لَا تَجْعَلَ المَاءَ لَهَا قَاهِرَاً وَلَا تُسلِّطْهَا عَلَى مَائِهَا [٢]

دَارَتْ فَأَحْيَتْ غَيْرَ مَذمُومَةٍ نُفُوسَ حَسْرَاهَا وَأَنْضَائِهَا [٣]

ويُسعف التشخيص الشاعر على تقديم رؤيته للخمرة، وذلك بما يُسبغه على هذه الخمرة من صفات خاصة من الإجلال والتقديس، فيشكّل لها صورة روحانية عظيمة عبر استخدامه لألفاظ" أثنِ، وآلائها، فأحيت". ومع هذه الحال النورانية للخمرة يطلب من صاحبه أن يمنح الخمرة حقّها الذي تستحقّه، بأن يثني عليها أيّما ثناء، بأن يذكر نعمها عليه وفضائلها، وأفضل أسمائها ، " أثن بآلائها، أحسن أسمائها، ودارت فأحيت...". كذلك يحذّر الشاعر صاحبه من ألّا يحسن معاملتها ومراعاة حساسيتها بمزج الماء بها، فتختفي منها صفاتها وطبيعتها المعهودة؛ فتذهب منها قدرتها على بث السعادة والفرح في نفوس أصحابها، أو إحيائهم" فأحيت". وفي هذا يتنبّه طه حسين لدقّة الرؤية فيقول:" ولكنّ أبا نواس كان يحبّ الخمر حبّا أشبه بالدين. كان يعبدها ويقدسها تقديسا... وإنّك تشعر بأنّ هذه الأبيات ليست مدحا للخمر، وإنّما صلاة إلى الخمر. أليس الشطر الأول تسبيحا ؟ أليس الشطر الثاني تقديسا للخمرة ؟"[٤]. ولهذا كانت الخمرة لدى أبي نواس " تعويضا عن غياب الحياة، بل تصبح نفسها هي

١- الديوان: ١٣ .

٢- يقصد بذلك ان لا تزيد من نسبة الماء إليها، ولا تقلل منه .

٣- الأنضاء: جمع نضو، وهو المهزول .

٤- حديث الأربعاء، طه حسين: ٦/٨٦-٨٧ .

الحياة"[١]، والسعادة والسرور، وتصبح لديه" وسيلة للخدر من مواجهة المصير وما يشمل عليه من شعور بالضعة والتفاهة والعقم، فسكرته شبيهه بالانتحار، ولكنّه انتحار غير مباشر وئيد متمهل، إنّها الموت، لكنّه الموت الغافل الذي يقدم من غير أن نشعر به، أو نتعذّب منه"[٢].

١- الثابت والمتحول، أدونيس: ١١٤.

٢- فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، دار الثقافة – بيروت (د.ت): ١٣.

ـ الخاتمة :

كشفت هذه الدراسة عن استخدام الشاعر أبي نواس لأسلوب التشخيص الذي ساعده بوضوح في تحقيق رؤيته وبناء عالمه الشعري؛ حيث مكّن هذا الأسلوب البلاغي الشاعر من بثّ الحياة في كونه الشعري، وتعميق إحساسه وإدراكه بهذا الكون، الذي تمكّن بواسطته من صياغة موقفه وكشف رؤيته وعالمه.

وبذلك أسعف أسلوب التشخيص الشاعر أبا نواس في إبراز رؤيته من الخمرة التي ظهرت لديه في صورة: أم، وعجوز، وقتيلة، ومخطوبة، وعروس، ومسعدة. كما أزالت الدراسة عن التناقض في استخدام الشاعر لصور الخمرة المختلفة التي ظهرت في شعره، وأظهرت الوحدة والانسجام لتلك الصورة المتعدّدة، تبعا لنمو شخصيته وتجربته، وبالتالي تحقّق التوازن النفسي والفني لدى الشاعر. وليتبيّن لنا بوضوح –أيضا– أن القضية التي عاشها الشاعر وشكّلت تجربته الشعرية لا تكن تكمن في الظروف الاجتماعية التي عاشها، أو تكمن في مشاكله النفسية فحسب، بل كانت تكمن في أفكار الشاعر نفسها وخصائص نظرته للعالم وللكون والحياة. وبذلك لم يعد الشاعر –بحكم تجربته الشعرية– يرى الأشياء إلا من خلال علاقتها بخمرته التي طبعت حياته بطابعها الخاص، ولوّنتها بألوانها.

وقد بيّنت الدراسة أنّ الشاعر أبا نواس قد حمل رؤية جديدة متفرّدة في تناول الخمرة بما بثّ فيها من الحياة والإنسانية، عبر استخدامه لأسلوب التشخيص، وبما قدّمه من قدرة عالية للاندماج بها بديلا عن عالمه الذي عانى فيه شظف الحياة وقسوتها التي عاشها. ما مكّن أبا نواس من بثّ روح التجديد في الشعر العباسي خاصة، وفي الشعر العربيّ عامة.

وفي ذلك رأينا الشاعر أبا نواس يحمل برؤيته الفنية والفكرية قدرا كبيرا من النقد للحياة؛ حيث لم يكن مجرّد ممثّل لها، بل إنّه حمل طاقة الفعل لتحقيق قيمة

اللّفت أو الرفض بأسلوب جدّ متفرّد جديد، وبأدوات فنية محدّدة كان في أساسها استخدامه لأسلوب التشخيص البلاغي الذي أسهم في صياغة تجربته الجمالية والفكرية، وفي فهم الأبعاد الثقافية والاجتماعية للعصر الذي عاشه الشاعر .

المصادر والمراجع

١. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط١، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٩٢م.
٢. الانحراف مصطلحا نقديا، د. موسى الربابعة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات- جامعة مؤتة- الأردن، م١٠، ع٤، ١٩٩٥م.
٣. أخبار أبي نواس، ابن منظور، محمد بن مكرم(ت٧١١هـ/١٣١١م)، ملحق بكتاب الأغاني، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٢م.
٤. أخبار أبي نواس، ابن هفان، عبدالله المهزمي (ت٢٥٧هـ/٨٧١م)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر-القاهرة، ١٩٥٣م.
٥. البديع الشعري بين الصنعة والخيال، د. عبد القادر الرباعي مجلة أبحاث اليرموك- جامعة اليرموك-الأردن، م٣،ع٢، ١٩٨٦م .
٦. بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة محمد المولي ومحمد العمري، ط١، دار توبقال- الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
٧. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ط٥، دار المعارف بمصر، ١٩٨٣م.
٨. تاريخ الطبري - تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، ط١،م١٥، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٧م.
٩. تحديد الصورة وأهميتها في الخطاب الشعري، الولي محمد، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة سيدي محمد - فاس، ع٩، ١٩٨٧م .
١٠. ت.س إليوت الشاعر الناقد، ف.أ.ماثيس، ترجمة إحسان عباس . المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٦٥ م.
١١. التفسير النفسي للأدب، د. عزالدين إسماعيل، ط٤، مكتبة غريب- القاهرة، ١٩٧٧م.
١٢. الثابت والمتحول، أدونيس، علي أحمد سعيد، ط٢، دار العودة- بيروت، ١٩٧٩م.

١٣ـ الثورة والاغتراب في شعر عرار، د. جهاد المجالي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات– جامعة مؤتة– الأردن، م٨، ع٦، ١٩٩٣م.

١٤ـ جدلية الخفاء والتجلي، د. كمال أبو ديب ، ط٣، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧م.

١٥ـ الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي، د. إبراهيم سنجلاوي، ط١، مكتبة عمان–الأردن، ١٩٨٥م.

١٦. حديث الأربعاء، طه حسين، ط٢، دار المعارف بمصر، (د.ت).

١٧ـ الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، د. صالح أبو إصبع، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، ١٩٧٧م .

١٨ـ خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، د. أيمن العشماوي، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، ١٩٩٨م.

١٩. دراسة الأدب العربي، د. مصطفى ناصف، الدار القومية– القاهرة(د.ت).

٢٠ـ دلالة التضمين في خواتم قصائد أبي نواس، د. إبراهيم سنجلاوي، مجلة جامعة دمشق– سورية، ع١١، ١٩٨٨م .

٢١ . ديوان أبي نواس، أبو نواس، الحسن بن هانئ(ت ١٩٥هـ/٨١٠م)، حقّقه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٩٨٤م.

٢٢. زمن الشعر، أدونيس،علي أحمد سعيد، ط٢، دار العودة – بيروت ،١٩٧٨م .

٢٣ـ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم(ت٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م)، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م.

٢٤ـ الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، ط١، دار الأندلس– بيروت، ١٩٨١م.

٢٥ . الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ساسين عساف، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر– بيروت، ١٩٨٢م.

٢٦ـ الصورة الفنية عند العباس بن الأحنف، عبدالله الميسري، رسالة ماجستير، جامعة عدن –اليمن، ١٩٩٩م.
٢٧. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار المعارف – القاهرة، ١٩٧٣م.
٢٨ـ الصورة الفنية في شعر أبي تمام، د. عبد القادر الرباعي، ط١، منشورات جامعة اليرموك– الأردن، ١٩٨٠ م.
٢٩. ظاهرة التشخيص في شعر أبي نواس، د. عبد الله أحمد الوتوات، مجلة كلية التربية – جامعة مصراتة – ليبيا، السنة ١٤، عدد ٢٣، ٢٠٢٠ م.
٣٠ـ ظواهر من الانحراف الأسلوبي في شعر مجنون ليلى، د. موسى الربابعة، مجلة أبحاث اليرموك– جامعة اليرموك–الأردن، م٨، ع٢، ١٩٩٠م.
٣١ـ العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف– القاهرة، ١٩٦٩م.
٣٢ـ علم الأسلوب– مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب–القاهرة، ١٩٨٥م.
٣٣ . فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، إيليا حاوي دار الثقافة–بيروت (د.ت).
٣٤ . في النقد الحديث، د. نصرت عبد الرحمن الحديث، ط١، مكتبة الأقصى – عمان، ١٩٧٩م .
٣٥ . قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، البغدادي، محمد بن حيدر (ت٥١٧هـ/١١٢٣م)، تحقيق د. محسن عجيل، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨١م.
٣٦ . قراءة ثانية في بائية أبي نواس" خاطب القهوة"، د. نوره الشملان، مجلة أبحاث اليرموك– جامعة اليرموك– الأردن، م١٥، ع١، ١٩٩٧م.

٣٧ . قضايا في النقد والشعر، د. يوسف بكار، ط١، دار الأندلس –بيروت، ١٩٨٤م.

٣٨ـ اللغة المعيارية واللغة الشعرية، يان موركاروفسكي، تقديم وترجمة ألفت الروبي، مجلة فصول–القاهرة، م٥، ع١، ديسمبر، ١٩٨٤م.

٣٩ـ اللغة والإبداع – مبادئ علم الأسلوب العربي، د. شكري عياد، ط١، دار انترناشونال برس– القاهرة، ١٩٨٩م.

٤٠ . مدخل إلى علم الأسلوب، د. شكري عياد، ط٤، أصدقاء الكتاب– القاهرة، ١٩٩٨م.

٤١ . منهج في دراسة أبي نواس، د. محمد زكي العشماوي، مجلة الدوحة – وزارة الإعلام – قطر، ع٦٢، فبراير ، ١٩٨١ م.

٤٢ . الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المرزباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٣م) ،ط٢، اعتنى بطبعه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية – القاهرة، ١٩٦٥م.

٤٣ . موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية– بيروت، ١٩٨١م .

٤٤ . نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد، د.ن واف قوقزه، ط١، وزارة الثقافة الأردنية – عمان، ٢٠٠٠م.

٤٥ . نفسية أبي نواس، د. محمد النويهي، ط٢، مكتبة الخانجي– القاهرة، ١٩٧٠م.

٤٦. أبو نواس، إلياس عشي، ط١، دار الكتاب اللبناني– بيروت، ١٩٧٣م .

٤٧. أبو نواس بين التخطي والالتزام، د. علي شلق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر– بيروت، ١٩٦٤م.

٤٨- أبـو نـواس بـين العبـث والاغتـراب والتمـرد، د. أحـلام الـزعيم، ط١، دار العودة-بيروت، ١٩٨١م. ٤٩. أبو نواس ـ الحسن بن هانئ، عباس العقاد، مطبعة الرسالة – القاهرة (د.ت).

٥٠- أبو نواس زعيم شعراء الخمرة، جورج غريب، ط١، دار الأندلس-بيروت، ١٩٦١م.

٥١ـ أبـو نـواس شـاعر ظلمـه قومـه، د. رجـاء عيـد، مجلـة العربـي- الكويـت، ع٢٦٩، ابريل، ١٩٨١م.